بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي انفرد بالكمال وحده، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد الذي اصطفاه للنبوَّة من عباده، وعلى آله وصحبه من بعده.

التحقيق علم قائم بذاته، لا يعني نشر كتاب مخطوط كان قابعاً تحت غبار السنين، ينتظر يداً تنفض عنه ذلك الغبار وتخرجه إلى دائرة الضوء في حلة طباعية جديدة ليكون متداولاً بين أيدي القراء والباحثين والدارسين. بل التحقيق أوسع من ذلك، فهو يعني التثبّت من صحة الكتاب المخطوط نفسه وعنوانه واسم مؤلفه ونسبته إليه، وإخراج الكتاب كما تركه مؤلفه من خلال الحصول على أكبر قدر ممكن من النسخ المخطوطة، ومقابلتها مع بعضها، وبيان الفروق بينها.

وقد ورد التحقيق عند المؤلفين العرب القدامى، فذكر الجاحظ العلماء الذين يحقون (يحققون) الكتب بقوله : ((لم يخل زمن من الأزمان فيما مضى من القرون الذاهبة إلا وفيه علماء محقّون قرؤوا كتب من تقدّمهم، ودارسوا أهلها...)) [1]

ولا يقتصر عمل المحقق على ذلك أحياناً، فقد يضيف إلى عمله الشروح والتعليقات، منها تراجم الأعلام،والشروح اللغويَّة، وتعريف الحوادث التاريخيَّة، وتحديد المواضع الجغرافيَّة، والتنبيه إلى بعض إحالات المؤلف، وتصويب أوهام النسَّاخ.

وعندما صار التحقيق علماً، وصار العلم مادة للدرس والتأليف، فمن الطبيعي أن يكون ذلك العلم عرضة للملاحقة والنقد والتعليق،إذ من الممكن أن يقع المحقق المبتدئ في خطأ أو سهو لسبب من الأسباب، فليس صحيحاً أن يبقى الخطأ على حاله، ويمر على الآخرين دون أدنى إشارة أو تصويب. لذا يقع على القارئ والدارس واجب التنبيه إلى السهو والإشارة إليه، وعلى المحقق واجب الالتفات إلى ذلك التنبيه

---

[1] رسائل الجاحظ / فصل مابين العداوة والحسد ١ / ٣٣٨ - ٣٣٩ تحقيق عبد السلام هارون.

obeikandi.com

والاستماع إلى القول، والاستجابة إلى التصويب وإسداء الشكر والثناء لمن نبهه خدمة للعلم والدرس.

ولم يكن هدفي في هذه الدراسة – وهي بيان فوات تحقيق كتاب (الإحاطة في أخبار غرناطة) – أن استقصي الزلل، وأن أتتبع الهفوات، وأن أعلو على من انكب على البحث والدرس، وقضى وقتاً طويلاً في الوصول إلى الحقيقة، وبذل كثيراً من جهده وراحته ومتعته في خدمة العلم، لكن الأمر جاء من دون إعداد مسبق لذلك.

ففي أثناء جمعي شعر صفوان بن إدريس المرسي (-٥٩٨هـ) لغرض تحقيقه خدمة للعلم وطلابه، كان كتاب (الإحاطة في أخبار غرناطة) لابن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦هـ أحد المصادر المهمة التي اعتمدت عليها في جمع شعره وأخباره. وقد وجدت في تحقيق الإحاطة فواتاً كثيراً، وملاحظات تستحق الذكر والإشارة إليها.

فالمحقق محمد عبد الله عنان كان أستاذاً كبيراً في مجال البحث والتحقيق، ومؤلفاته تملأ الساحة الأدبية، فأذكر منها : تراجم مشرقية وأندلسية، طبع بمصر عام ١٩٤٧، ودولة الإسلام في الأندلس، وهو في أجزاء تبدأ من الفتح حتى نهاية الأندلس وقد بدأ بطبعه عام ١٩٦٠. وتحقيق كتاب الإحاطة لابن الخطيب وهو في أربعة أجزاء طبع الأول عام ١٩٥٦، والثاني عام ١٩٧٤، والثالث عام ١٩٧٥، والرابع عام ١٩٧٧، وبحوث ودراسات أخرى.

ولكن مثل ذلك لا يمنع المرء من أن يسهو أحياناً عن أمور يسيرة، ويفوته شيء مما هو فيه. وتحقيق الإحاطة ليس عملاً سهلاً، فالكتاب موسوعة ضخمة تتضمن كل ما يتعلق بمدينة غرناطة، أخبارها ووصف معالمها، ورسم جغرافيتها، وتاريخها منذ فتحها ونزول العرب الأوائل بها حتى عصر المؤلف.

وتضم الإحاطة تراجم طائفة من أعلام الكتّاب، والشعراء، والوزراء، والمتغلبين الذين نزلوا غرناطة، وممن عاصروا المؤلف،ويرد فيها كثير من شعرهم ونثرهم وأخبارهم. وغدت الإحاطة كتاباً ((طائر الصيت بالمشرق والمغرب، والمشارقة أشد إعجاباً به من المغاربة، وأكثر لهجاً بذكره، مع قلته في هذه البلاد المشرقية)) [٢]

---

[٢] المقري : نفح الطيب ٧ / ١٠٢.

أمّا مؤلف كتاب الإحاطة فهو لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، ويعرف بابن الخطيب (-٧٧٦هـ) من كبار أعلام القرن الثامن الهجري في الأندلس، وكان عبقريَّة متعددة النواحي، فهو طبيب، وفيلسوف، ومؤرخ، وكاتب، وشاعر، وأخيراً فهو وزير، وسياسي بارع. ومؤلفاته تقع في نحو ستين كتاباً مما تدل على سعة علمه وأدبه. [٣]

كتب ابن الخطيب ترجمته بنفسه، وألحقها في خاتمة كتابه الإحاطة فضلاً عمَّا أورده عن الحوادث السياسية التي مرت به في أثناء وزارته للسلطان الغني بالله من بني الأحمر في غرناطة في مواضع متعددة من الإحاطة نفسها، وفي مؤلفاته الأخرى منها : نفاضة الجراب، واللمحة البدرية، وريحانة الكتَّاب[٤].

بدأ ابن الخطيب بجمع مادة كتابه الإحاطة في مدة وزارته الأولى (٧٤٩-٧٦١هـ)- أي قبل أن يعزل وسلطانه الغني بالله، وينفيا إلى المغرب – حين أغراه بجمعه أبو إسحاق إبراهيم بن الحاج. ((فوقف على تاريخ ابن جزي على شاطئ نهر فياض، وانتشق من ورقاته أزاهر رياض)) [٥]. وكان ابن الحاج قد كتبه لأبي الحجاج سلطان المغرب عام ٧٥٥هـ.

ولما عاد السلطان الغني بالله إلى الحكم في الأندلس عام ٧٦٣هـ ومعه ابن الخطيب وفي مدة وزارته الثانية استأنف الكتابة في الإحاطة، فتلاحقت الفروع بالأصول، واستمر في كتابة تراجمه حسبما يبدو في كثير من الإشارات لأول مرة قبل سنة ٧٦٩هـ. وأرسل في حياته نسخة من الإحاطة إلى مصر ووقفها على أهل العلم. وجعل مقرها بخانقاه سعيد السعداء.[٦]

وبعد لابد لي من القول لما كانت الإحاطة بمجلداتها الأربعة تضم نصوصاً شعرية ونثرية كثيرة، وشروحاً وتعليقات نادرة، وكانت النصوص الشعرية أكثر تعرضاً للتصحيف والتحريف والاختلاف والسقط والأغلاط اللغوية واضطراب الوزن

---

[٣] ينظر : ابن الخطيب : الإحاطة ٣ / ١٧.

[٤] ينظر : المصدر نفسه ٣ / ١٨.

[٥] المقري : نفح الطيب ٧ / ١٠٧.

[٦] ينظر : المصدر نفسه ٧ / ١٠٨.

في الأبيات، وغيرها من أوهام النسَّاخ مما يؤدي إلى تغير معانيها، وهذه مسألة خطيرة، لذا ارتأيت – نظراً لضخامة العمل – أن أقتصر على تصويب ما وقع على هذه النصوص من حيف، وإعادتها إلى صورتها الأولى قدر الإمكان، سليمة بريئة من هذه العيوب، وقد يتعدى ذلك أحيانا إلى تصويب ماله علاقة بالإحاطة من مصادر مثل الدواوين وغيرها.

أمّا الشروح والتعليقات فإنها على العكس من النصوص غالباً ما تخص المؤلف ومنهجه في ذلك الكتاب، وقلما ترد في المصادر الأخرى. ويعد كتاب (نفح الطيب) للمقري من المصادر المهمة التي تتخذ لتخريج نصوص الإحاطة ومقابلتها وتصويبها، لسعته ولضمّه نقولات كثيرة عنها، فاتخذته وبعض المصادر الأخرى أساساً للموازنة بين هذه النصوص.

وقد جعلت منهج دراستي في استدراك هذا الفوات وتقويمه وتصويبه على أربعة مباحث، وهي على النحو الآتي :

المبحث الأول : التصحيف والتحريف.

المبحث الثاني : السقط والزيادة والنقص.

المبحث الثالث : الأغلاط اللغوية والإملائية.

المبحث الرابع : تخريج النصوص وضبطها.

وإني لأرجو أن تجد هذه الاستدراكات لما فات قبولاً لدى المحققين والدارسين والباحثين ممن يتخذ كتاب (الإحاطة) مصدراً مهماً من مصادر دراسته، وليس في ذلك ضير لمحققه بل تثبيت لقوله تعالى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ . ومن الله التوفيق.

obeikandl.com